المصريين؟ كلا بل سول لهم الكفر ما يأفكون

ثم ان التربية والتعليم متلازمان بمعنى ان الثاني لازم للاول لا يتم الا به بل هو جزء منه لان التربية على ثلاثة ضروب تربية الجسم وتربية النفس وتربية العقل وهذا الاخير هو عين التعليم ثم كل منها يحتاج للعلم والتعليم لكننا نفرد للتعليم مقالات مخصوصة نبين فيها وظائف المعلم والمتعلم وكيفية التعليم وندخل في هذا البحث في المصنفات وأساليبها ونبدأ بالكلام على القسم المهم من التربية وهو تربية النفس المعبر عنه بتهذيب الاخلاق وموعدنا الاعداد الآتية ان شاء الله تعالى

التمدن

« لبعض فضلاء المصريين *) »

ماوصلت اليه أمة الا وحط عن كاهلها جميع الاتعاب والبلايا . والاضطهادات والرزايا . ولا رقي اليه شعب الا وامن غائلة الاضغان والاعتساف . وتحصنت اعماله من جائحة السلب والاعتداء . فصاحبه سر الساكن في منازل الرغد والهناء . واللابس حلة الاسعاد . تقول ولا مغالاة في الحق انه الضامن لتوطيد أركان العمران . والكفيل بتشييد دعائم الاجتماع . كيف لا وهو الحقيقة الجامعة لكل فرد من أفراد الكمالات من غير فرق بين ان يكون أدبيا او ماديا حسيا أو معنويا فالتفنن في الصناع فصل من فصوله . والتسابق في ميادين العلوم باب من أبوابه . والتجافي عن مواضع النقيصة جزء من أجزائه . والتحمل بالاخلاق الفاضلة نبذ من جواهره . فاذا لا بدع اذا قلنا ان صاحبه هو السعيد والواطىء

*) هذا في الاصل وهي من مقالات الاستاذ الامام في الوقائع المصرية

بنطله غرف النعيم . جد في طلبه من ادرك نتيجته من الامم فجنى ثمره اليانع نراه يتقلب على بساط العز ويتدرج في معارج الاجلال والجمال عمرت ديارهُ بعد ان كانت قاعاً صفصفاً بالابنية العالية وتزينت بالاسواق الفسيحة والصنائع العديدة وصارت محط رحال السياسة ومطمح انظار النبلاء . ضاق بسيطها عن القيام بنفقاته الواسعة فطار على جناح العلم يستطلع بقاعاً خربتها الجهالة وثلمتها يد البغي ليكون فيها هو الوارث بعد بنيها يستخرج منها الكنوز بحكمته . ويفجر منها الينابيع بقدرته. ليجني وأهلها الغارسون ويقضي وهم المطيعون . تسمع أهل تلك الديار صدى صوته في العشي والابكار، والندو والآصال، ولكن يغالطون الحس ويكابرون بانكار البداهة ويسلون أنفسهم بان هذا الاجنبي لاسطوة له ولا حكم وانما هو غريب دعته الحاجة للتجول في البلاد لطلب الرزق ثم تحشرهم خواطرهم بانا ارفع شأناً من اولئك الغرباء واسبق منهم يداً في المدنية ولئن تأخرنا عنهم حيناً من الزمن لكنا لحقنا بهم في انتظام الهيئة وحسن السلوك وهذه قصورنا المشيدة وثيابنا الملونة وقدودنا المجملة واطعمتنا المتنوعة تشهد بانا قوم غمسنا في الترف وحظينا بالثروة ونهجنا الصراط المستقيم .

يحسبون تلك الاوهام حقائق تجعلهم من ذوي النعمة واليسار والعزة والكمال اعتماداً على كونها سنة الامم المثرية والشعوب المتورة . وأيم الله انها بالنسبة لاولئك البسطاء لداعية الفقر المدقع ومجلبة الشر وان هذه الصور الظاهرية التي يظنونها تمدناً كسحابة حشيت بالصواعق يتوهم الغافل من بريقها ولمعانها انها تأتي بوابل ينعش البقل ويحيي الموات ولكن اذا حل الاجل امطرت مايذهب بالحياة ويبدد الاجسام . ذلك لان الامم

المتمدنة وان انفقت الاموال الكثيرة في تشييد القصور وتزيين الملابس وتحسين الاثاث الى غير ذلك من المصارف فانما يكون على نسبة مخصوصة من ايراداتهم الحائزين لها بالكد والتعب في ابراز المصنوعات الجميلة والمخترعات الجمة التي تكسب صاحبها في قليل من الزمن ثروة واسعة وقدراً رفيعاً . ولا يجيزون الانفاق من رأس المال الا اذا مست ضرورة لا محيص عنها ومع ذلك فنفقاتهم هذه لا تتجاوز حد اللزوم ولا تخرج عن دائرة احتياجاتهم فكلها مؤسسة على قاعدة جلب المصلحة ورفع الحاجة تدخل منزل الرجل منهم ترى غرفه ومخادعه مشغولات بامتعته وبضائعه ونقوده وليس فيه قدر شبر عمر لغير حاجة حتى حديقته ولا يشتري ثوباً له أو لزوجته وأولاده الا بقدر العوز وحلي آل بيته ثلاثة أرباعه من النحاس مهما كثرت ثروته وليس في اصطبله سوى عربة أو حمار للركوب لا يجمع بينهما الا نادراً وفرشه وغطاه لا يخرج عن نوعي القطن والصوف كثيابه. أما أهل تلك الديار الذين يزعمون انهم قوم متمدنون (وهم في ذلك مخطئون) فقد ركبوا الشطط وحملوا أنفسهم ما لا يطيقون من النفقات الباهظة يصرف الواحد منهم آلافاً من النقود في سبيل تعمير أرض فسيحة وربما كفاه ما لا يبلغ العشر من مساحتها ويفرشها من أعلى أنواع الفرش ويزينها بابهج اصناف الزينة فتبقى غرف المنزل بلا ساكن يعلو التراب على ما فيها من الاثاث والفرش المغشاة بالفضة والذهب حتى يبيدها وربما لا يستعملها مرة في العام . يتختم في اصبعه بما تجاوز قيمته عقد الالوف من الفرنكات ولدى زوجته من الالماس والجواهر ما يكفي ربحه لنفقات بيته أو يزيد لو استعمل ثمنه في شيء يتجر به (اذا كان ممن ينفقون) الى

غير ذلك من المصارف التي يضيق بنا المقام عن تفصيلها وما حمله عليها سوى الطيش والانهماك في الشهوات والسفه المفرط الذي بلغ مرتبة الجنون. فان رجعنا الى سيرهم في طرق جلب المنافع وتخفيف اتعاب المعيشة وتحسين وسائل الاكتساب رأيناهم واقفين على نقطة واحدة من آلاف من السنين . فايراداتهم الآن واقفة عند الحد الذي كانت عليه قبل ان كانوا يسكنون المنازل المصنوعة من اللبن الاخضر المفروشة بقصب (الحلفاء) المعرشة بقضبان شجر (الجميز) وجذوع النخل مكتفين من الثياب بما يستر البشرة ومن الطعام بما يذهب النهمة . فزروعاتهم الآن هي على ما كانت عليه في تلك الايام لم تتغير اشكالها ولم تبدل اصنافها ثم قد زادت حاصلاتها نظراً للتسهيلات التي اجريت في طرق الري « هذا في بلاد الكاتب » ولكن هذا النمو لا يعادل في الحقيقة الضعف الذي يلم بتجارة ابناء البلاد فقد كان يوجد قبل ورود الغريب اليهم في القرية الصغيرة اشخاص عديدون يتجرون في جميع اصناف المزروعات وغيرها من الاقمشة والمأكولات يربحون من ذلك مالاً عظيماً أما بعد ذلك فلا ترى بينهم الا متضورين جوعاً ويئنون تحت احمال المشقات لبوار التجارة وكسادها واختصاصها بيد الدخيل . ويتبع ذلك سقوط صنعة النجارة والحدادة والحياكة وغيرها من اصناف الحرف اللاتي نسختها متحدثات الامم المتمدنين . وربما ينتهي بهم الامر لو استمروا على الجهالة والسفه الى خلو أيديهم من الزراعة أيضاً لوجود من يحسنها سواهم . ولا عجب بعد هذا اذا رأينا هؤلاء السفهاء واقعين في وهدة الفاقة والاضمحلال يئنون تحت اثقال الديون التي تستغرق جميع ما في حوزتهم من الاملاك وهذا يجعلهم حقراء اذلاء في قبضة الدائن

الذي يكونون رهنوه املاكهم يتصرف فيهم بما يريد فيلاقون منه شيئاً لا تقدر على تحمله النفوس ولا تستطيعه الطباع وربما كان الدائن من سفلة قومه والمدين من اعيان بلاده ولا تغني عنه يومئذ قصوره العالية ولا ثيابه المزركشة ولا اثاثه الخزية والحريرية وهذا فضلاً عما يعتريه من البلبال وكثرة الوساوس والافكار يبيت ليله يتقلب على الفراش ولا تقلبه على جمر الغضا يقدر محصولات زراعته قبل بذرها وينسبها لمقدار المطلوب في ابان الحصاد فاذا وجدها على قدره حصل له نوع من الاطمئنان ذاهلاً عما عساه يحدث من الغرق أو الشرق أو الاندية المتساقطة من الجو حتى اذا حل الاجل ولم يجد لديه ما يفي بالمطلوب لاصابة الزرع باحد الاسباب التي ذكرناها ضرب كفاً على كف واسود وجهه وساءت حالته وتسول الناس ليكفلوه عند عميله (دائنه) اذا لم يف ما عنده بالرهن فلا يجد مجيباً ولا نصيراً .

لعمر الحق ان المفترش للحصا المتوسد لحجر الصخر المستكن في منازل الحيوانات المتكفف في معيشته خير من هؤلاء الناس الذين لا يقر لهم قرار ولا يهدأ لهم بال (ومما يسؤنا ان نرى اكثر من الكثير في بلادنا) أهذا ما حسبوه تمدناً وزعموه نعيماً مقيماً . كلا بل هو الشقاء الابدي المجالب للفقر المدقع والعذاب الاليم .

هذه مشاربهم في أحوالهم المعاشية تحزن المحب وتفرح قلب العدو ولعلمنا بأن تلك الحالة لا يرضاها الشرع ولا القانون جئنا بهذه النصيحة آملين ان تنفع الذكرى فينتهج هؤلاء صراطاً مستقيماً وما ذلك على الله بعزيز .